أحمد آل أحمد ـ الأردن

الرحيق المختوم

قفْ عندَ مَكّةَ وانظرْ حالَها الكَدرا
قَبلَ الـنُـبُـوَّةِ، كفرٌ ذائـعٌ جَهَرا

الـشركُ بـذرٌ بكل الأرضِ، زارِعُـهُ
عَمرو " ابنُ شُؤمٍ غُرابُ البينِ ما عَمرا

قَد لَطَّخَ الكعبَةَ الغَرّاءَ من سَفَهٍ
والدينَ غَـيَّرَهُ والمُحدَثاتِ فَرىً

قانٍ رَوى بيدَهُمْ، مِنْ ناقة قُتلتْ
هـذا قـتـيـلٌ وهـذا قـاتـلٌ ثَـأرا

أصحابُ فيلٍ، وأُخـدودٌ، ومهلكةٌ
الـجـاهـلـيَّـةٌ سـيـلٌ دافـقٌ قَـذَرا

مع شدةِ العَتمِ نورُ الغَيْبِ مُستترٌ
لكنَّهُ الفجرُ لا يُبقيهِ مُسْتَترا

ثـانـي الـذَبـيـحـين لمّـا جـاءَ آمنةً
أَهدى إليها جَنينَ الفَجرِ ثُمَّ سَرى

رأتْ ضياءً يعمُّ الكونَ من رحمٍ
فاستَبشرتْ، بضياءٍ حَلَّ وانتشَرا

مُـحُـمَّـدٌ، سـيّـدٌ هَـلَّـتْ بشائرُهُ
نوراً، وَزالَتْ هُمومُ القَلبِ إذْ حَضَرا

لَمّا أتتْ مِنْ بَني سعدٍ مَراضِعُهمْ
جاءتْ حَليمةُ تشكو حَظَّها العَثِرا

جـاءتْ تَـئِنُ وَفقْرُ الحالِ يأكُلُها
بالنورِ عادتْ، وظِئرُ الخيرِ صارَ قِرى

ويفقدُ الأمَّ ثُـم الـجَـدّ يَتْبَعُها
والـعـمُّ ضَـمَّ إلى أبنائهِ القَمرا

يمضي الأمينُ وصدقُ القولِ مَنْهَجُهُ
الصِدقُ والعدلُ في أُركـانِـهِ وَقَـرا

وفي "الفُضولِ" أتى فَضْلاً، رأى قِيَما
تعاضدَ القومُ عـدلاً فيهمُ جَـأرا

ما شاركَ القومَ إلا طِيبَ مَجْلسهمْ
ثُـمَّ ارتحالاً لقاصٍ، سـارَ واتَّجَرا

وافى يُخَبِّرُ رأيَ الصدقِ مَيْسَرَةٌ
لَمّـا رآهُ أمـيـنَ الـطَـبْـعِ وانْـبـهَـرا

خديجةَ الطُّهرِ، حتّى أُوْدِعَتْ شَرَفاً
أعطتْ لهُ الطيبَ في أعوامِهِ أَثَرا

حِـراءُ نـاداهُ، أمْ نـادتـهُ أفئدةٌ
وجـاءَ جبريلُ أمـراً كـانَ قد قُـدِرا

فَـأرعَـدَ الـروحُ قلباً ثُـمَّ طَمَّنَهُ
ودَثَّرَ الخوفَ، حتى خوفهُ انحسرا

عـا إلى الـلـه سرًّاً ثـم أعلَنَها
جهرا، وجـاهـدَ نَكراناً ومـا فترا

قَهرٌ وسَـبٌّ حصارٌ جائرٌ وأذى
لـكـنَّـهُ في صراعٍ هـائـلٍ صَـبرا

يا عَمُّ لَو في يَميني الشمسَ قد وَضَعوا
أو إنْ أتَـوا بشمالي أنزلوا القَمَرا

ما زادني لبلوغِ الأَمْـرِ غيرَ هُدى
أوْ أنْ أمـوتَ إذا لَمْ أَبْلغِ الوَطَرا

ثَـمَّ انتقالٌ لأجْـلِ الحَقِّ مُنْتَظَرٌ
حَـتّـى أتَـاهُ بـراقٌ بـارقٌ فَـسَرى

والأنبياءُ صـفـوفٌ، يتبعون ندا
إنَّ النبيَّ مُـطـاعٌ حيثما أَمَــرا

في القدسِ، دَربُ السَّما، معراجُهُ سُبُلٌ
وعادَ يحملُ مِنْ رَبّ السما خَبَرا

خمساً بخمسينَ فيها الذكر تَذكرةٌ
للمُسلمينَ، ولـلإسـلامِ كُـنَّ عُرى

والكفْرُ في الرأسِ، رَأسُ الكُفْرِ جاهلُهمْ
وأَتْعَسُ الخلقِ، مَنْ بالحَقِّ قد كَفَرا

الآيُ تَتْرى، وَعينُ القلبِ تَرصُدُها
من " يثربَ " النخلِ ركبٌ قادمٌ نَصَرا

والنورُ هاجرَ والصديقُ مُرتَجِفٌ
خوفاً على الدينِ أنْ يَفنى وقدْ ظَهَرا

ما الظنّ باثنين، قادَ اللهُ رَحلَهُما
فَضلاً، وأهدى قِفاراً أجْدَبَتْ نَهَرا

في مسجدٍ بقلوبِ الصَحبِ يَرفَعُهُ
الـلـهُ أَكْــبرُ، صَـدّاحـاً ومُنتَشرا

رَبّي منارات هَدي فيه فانطلقت
تَروي النفوسَ وكأن البذرُ مُنْتظِرا

بـدرٌ بدايةُ صـولات بها قُطعَتْ
تلكَ الرؤوسُ هوَتْ، والموتُ قد شَمَرا

تزلزلَ الـشركُ، لكنْ عادَ في أُحُد
كانتْ دروسـاً وإيقاظاً ومُزْدَجَرا

أهلُ النفاقِ وحشدُ الشرك قد حَزَبوا
حتى اليهود وأحـقـادا أتـوا زُمَـرا

وَضاقت الأرضُ، والأعداءُ قد حشدوا
أشارَ "سلمانُ " لو خَنْدَقْتُمُ حُفَراً

أضاءتْ الصخرةُ الصَّمّاءُ من شَرَرٍ
كُلَّ المدائنِ، بُشرى أَصبحَتْ قَدَرا

ثارَ الغُبارُ وطـارتْ فيهِ غايَتُهُمْ
والجَمعُ وَلّى أمامَ الريحِ واندَحَرا

أما اليهودُ فإنَّ السيفَ ماحقُهمْ
هـذا جـزاءٌ لِـخَـوّانٍ، إذا غَـدَرا

والشوقُ ساقَ رسولَ الله، رافَقهُ
صَحبٌ إلى البيتِ، بالإحرامِ، مُعتمِرا

فعادَ بالصلحِ، عَلَّ السلمَ يُسْعفُهُ
أنْ يَنْشُرَ الحَقَّ لمّا أَمَّـنَ الخَطرا

دَعـا مُـلـوكـاً، لمُـلـكٍ دائـمٍ أبـدا
والجِنَّ نادى إلى الجَنّاتِ وَالبَشَرا

«إنا فَتَحنا.....» نداءُ الفتحِ مُمْتَشِقٌ
أَمْناً على البيتِ لا خوفاً ولا حذرا

مـاذا تَـظـنّـونُ أني فـاعـلٌ بـكُـمُ
صفحٌ جميلٌ وعفوٌ عندما ظَفِرا

ما كـانَ إلا رؤوفـا جامعاً أُمَـماً
برحمةِ الـلـهِ ليناً سـابِـغـاً نَـثِرَا

الجذعُ أنَّ أنـينَ الشوقِ مُرتَجِفا
مَنْ مثلُ أحمدَ حُبّاً أنطقَ الحَجَرا

أنـارَ بالعلمِ والأَخْـلاقِ عالَمَنا
علمٌ تَناقَلَهُ الأجـدادُ واسْتُطِرا

قِفْ عندَ مكةَ هذا اليومَ مُغتبطاً
والطائفون ألـوفٌ قَبَّلوا الحَجَرا

والبيتُ ضَـمَّ إلى ساحاته أمَـماً
صَفّاً تَليهِ صُفوفٌ تَخْطِفُ النظرا

وفي المدينة خلْتُ الجمعَ مُنتظراً
قولاً بليغاً، وَوَحياً يَحمِلُ السُوَرا

أكـادُ أسمعُ فيها صوتَ صادِحها
يـؤذنُ الفجرَ، موصولاً كما صَدرا

وَروضةٌ مِنْ رياضِ الجَنَّة امتلأتْ
كأنها الحوضُ تَسقي كُلَّ مَنْ حَضَرا

كَـأَنّ "حَسّان" جاءَ اليومَ يمدحُهُ
أو أن "كعباً" أتى المختار معتذرا

ومَـدحُـهُ البحرُ لم يدركْهُ غارفُهُ
إلا قليلاً، تـرى مـاءً حـوى دُرَرا

هو الرحيقُ، رحيقُ المسكِ خاتِمُهُ
صَلّوا عَليهِ كما ربُّ الـورى أمَرا

أحمد عبد الرحمن آل أحمد - الأردن